

{ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } [

الأعراف : 16-17] وقوله : { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ

أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ } [الإسراء : 62] الآية .

ولم يبين هنا الفريق السالم من كونه من نصيب إبليس ولكنه بينه في

مواضع أخر كقوله : { وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمَخْلِصِينَ }

[الحجر : 39-40] وقوله : { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ

هُم بِهِ مُشْرِكُونَ } [النحل : 100]

{ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَسِبَنَّ

ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء : 62] وهذا قاله إبليس قبل أن يقع ظناً منه

أنه يتمكن من إضلال أكثر بني آدم ، وقد بين تعالى أنه صدق ظنه هذا

بقوله { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } [

سبأ : 20] وكل آية فيها ذكر إضلال إبليس لبني آدم بين فيها أن

إبليس وجميع من تبعه كلهم في النار كما قال هنا { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ

أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ } [الحجر : 43-44] الآية ، وقال في

الأعراف : { قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لِّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ } [الأعراف : 18] وقال في سورة بني إسرائيل :

{ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا } [الإسراء : 63] وقال في ص : { قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } [ص : 84-85] .

وبين تعالى في مواضع أخر أن الشيطان لا سلطان له على أولئك المخلصين كقوله { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } [الحجر : 42] [الآية وقوله : { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } [النحل : 99-100] الآية وقوله { وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ } [سبأ : 21] الآية .

وقوله { **لَأُحْتَنِكَنَّ** ذُرِّيَّتَهُ } قال ابن عباس : لأستولين عليهم ، وقاله الفراء . وقال مجاهد : لأحتوينهم . وقال ابن زيد : لأضلنهم . قال القرطبي : والمعنى متقارب . أي لأستاصلنهم بالإغواء والإضلال ، ولأجتاحنهم . قال مقيده عفا الله عنه : الذي يظهر لي في معنى الآية - أن المراد بقوله { **لَأُحْتَنِكَنَّ** ذُرِّيَّتَهُ } أي لأقودنهم إلى ما أشاء . من قوله العرب :

احتنكت الفرس : إذا جعلت الرسن في حنكه لتقوده حيث شئت . تقول العرب : حنكت الفرس أحنكه (من باب ضرب ونصر) واحتنكته : إذا جعلت فيه الرسن . لأن الرسن يكون على حنكه . وقول العرب : احتنك

الجراد الأرض : أي أكل ما عليها من هذا القبيل . لأنه يأكل بأفواهه ،
والحنك حول الفم . هذا هو أصل الاستعمال في الظاهر .

قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم قال للملائكة إنه لا يقنط
من رحمة الله جل وعلا إلا الضالون عن طريق الحق وبين أن هذا المعنى
قاله أيضاً يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لبيه في قوله : { يا بني اذهبوا
فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ } [يوسف : 87] قال ابو حيان في البحر
المحيط في تفسيره قوله تعالى : { إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ } الآية وروح
الله رحمته وفرجه وتنفيسه .

المؤمنون فإنهم لا يياسوا من فرج الله أبداً ، حتى ولو أحاطت بهم
الكروب ، واشتدت عليهم المصائب .

عن ابن عباس : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ) وذلك أن أهل مكة قالوا : يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ،
ودعا مع الله إليها آخر ، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف
نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل
الشرك؟ فأنزل الله : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللَّهِ) يقول: لا تيأسوا من رحمتي، إن الله يغفر الذنوب جميعا
وقال: (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) وإنما يعاتب الله أولي الألباب وإنما
الحلال والحرام لأهل الإيمان، فإياهم عاتب، وإياهم أمر إن أسرف
أحدهم على نفسه، أن لا يقنط من رحمة الله، وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة
من ذلك الإسراف، والذنب الذي عمل، وقد ذر الله في سورة آل عمران
المؤمنين حين سألوا الله المغفرة، فقالوا: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي
أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) فينبغي أن يعلم
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
(83)

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة
والعافية والرزق – أعرض عن ذكر الله وطاعته ، ونأى بجانبه : اي تباعد
عن طاعة ربه . فلم يمثثل أمره ، ولم يجتنب نهيه .
وقال الزمخشري : أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ، مستبد بنفسه .
{ ونأى بجانبه } تأكيد للإعراض . لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه
عرض وجهه . والنأى بالجانب : أن يلوي عنه عطفه ، ويوليه ظهره ، وأراد
الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين . واليؤوس : شديد اليأس ،
أي القنوط من رحمة الله .

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله «
في سورة هود » { وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنَّهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ
كُفُورٌ وَلَئِن أَدَقْنَا نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ
لَفَرِحٌ فَخُورٌ } [هود : 9-10] ، وقوله في « آخر فصلت » : { لَأَ
يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ قَنُوطٌ وَلَئِن أَدَقْنَا
رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن
رُجِّعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لِلْحَسَنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } [فصلت : 49-51]

إبليس : اسم مشتق من الإبلّاس ، وهو الحزن الناشئ عن شدة اليأس ،
وفعله أبلّس ، والراجح أنه اسم أعجمي ، ومنعه من الصرف للعلمية
والعجمة وهو كائن حي ، وقد أخطأ من حمله على معنى داعي الشر
الذي يخطر في النفوس ،

" الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب
مسيء الليل ، ويتوب الله على من تاب " - كما جاء في الحديث
الشريف

- ولذا قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الجملة ما ملخصه : في هذه الجملة وصف لذاته - تعالى - بسعة الرحمة ، وقرب المغفرة ، وأن التائب من ذنبه كمن لا ذنب له ، وأنه لا مفرع للمذنبين إلا فضله وكرمه . وفيها تطيب لنفوس العباد ، وتنشيط للتوبة ، وبعث عليها ، وردع عن **اليأس** والقنوط ، وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل ، وكرمه أعظم .

{ وما أرسلنا { أي ما زال مَنْ أرسلنا من رسلنا يدعون إلينا ويواصلون دعوتهم ويتأخر نصرهم حتى يدب **اليأس** إلى قلوبهم ويظن أتباعهم أنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من نصرهم وإهلاك أعدائهم { جاءهم { بعد وجود **اليأس** نصرنا { فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين { . هذا ما جاء في الآية الأولى { حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين { وهم أهل الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى : { إذا مسه الشر كان يؤوساً { أي قنوطاً . هذا هو الكافر ، ذو ظلمة النفس لكفرة وعصيانه ، إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير **اليأس** والقنوط تامهما ، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه .

- من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر **اليأس** والقنوط والتمادي في الشر والفساد .

عن ابن مسعود قال: الكبائر ثلاث: **اليأس** من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. (2)

لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء

وإبليس وزنه إفعال مشتق من الإبلاس وهو **اليأس** من رحمة الله تعالى ولم ينصرف لأنه معرفة ولا نظير له في الأسماء فشبه بالأعجمية

فالشرك أكبر ذلك كله وهو الذي لا يغفر لنص الله تعالى على ذلك وبعده **اليأس** من رحمة الله لأن فيه تكذيب القرآن إذ يقول وقوله الحق : { ورحمتي وسعت كل شيء } [الأعراف : 156] وهو يقول : لا يغفر له فقد حجر واسعا هذا إذا كان معتقدا لذلك ولذلك قال الله تعالى : { إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون } [يوسف : 87] وبعد القنوط قال الله تعالى : { ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون } [الحجر : 56] وبعده الأمن مكر الله فيسترسل في المعاصي ويتكل على رحمه الله من غير عمل قال الله تعالى : { أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون } [الأعراف : 99]

{ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون } دليل على أن القنوط من الكبائر وهو **اليأس** وسيأتي في (الزمر) بيانه إن شاء الله تعالى

{ والذين كفروا بآيات الله ولقائه { أي بالقرآن على الموضوع وتكون
والأعلام { أولئك يئسوا من رحمتي { أي من الجنة ونسب اليأس إليهم
والمعنى أويسوا وهذه الآيات اعتراض من الله تعالى تذكيرا وتحذيرا لأهل
مكة